



نشرة "الإنسان" 2019/01/27

السنة الثانية عشرة - العدد: 4166

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

مقدمة:

لعلها فرصة حقيقية ونحن نبحت عن تاريخ وأصول هذا الفكر العربي المصرى البسيط أن نرجع إلى المجلة الفصلية الأم الإنسان والتطور وننتقى منها بعض معالم هذا الفكر، وخاصة فيما يتعلق بتسمية الموقف النقدي، الذى ظل جليا من أول عدد من مجلة "الإنسان والتطور" (يناير 1980) مثلا فى باب جديد باسم "نقرأ معا مرة ثانية: مقتطف وموقف" حيث كنا نختار نصا، ثم نقرأه معا، بحروف مكتوبة، ثم ندعو للحوار، هذا وقد آن الأوان أن أعلن أننى شخصا كنت مسئولاً عن هذا الباب مسئولية كاملة - بلا توقيع - طوال عمر المجلة.

مقتطف من مجلة الإنسان والتطور الفصلية (1980)

(مقتطف وموقف (1))

هل العلاج بالعقاقير النفسية يطفى الإبداع؟

مقدمة:

امتألت الروايات والكتب والمجلات والسيارة بالكتابات عن النفس الإنسانية والتربية البشرية !! والسعادة السلوكية وغير ذلك من أفكار وأبحاث بالأكوام لبد وهى على هذا القدر من الوفرة أن تؤمل الإنسان المعاصر فى فتح أبواب آفاق رحبة يحلون فيها بالجنة المرتقبة، أو ينتظرون وصفات السلوك السوى مغلفة فى أكياس المعامل الجديدة، مع تفاصيل طرق طهى الهناء والإبداع فى نشرات الأبحاث المنشورة على الأوراق المصقولة بالحروف السوداء اللاتينية فى الأغلب، والعربية اللاهثة وراءها. وقد اعتادت المجالات عامة والمجلات المبتدئة خاصة أن تخصص فصلا اسمه "مقتطفات" تعرف به القاريء فى إيجاز عن بعض ما نشر من أبحاث ومقالات وكتب فى مجال تخصصها، وهى بذلك تقدم للقاريء خدمة جليلة لأنها تتيح له الفرصة أن يلم بالجارى هنا وهناك فى إيجاز طيب فتوفر عليه الجهد والوقت، وأغلب الدوريات تقف من "المقتطف" موقفا محايدا، وهى بذلك تؤدي خدمة جليلة أيضا لأنها تترك الفرصة للقاريء أن يحدد موقفه بنفسه، وحين فكرنا فى مثل هذا الباب، أحسنا أننا نختلف، فهذه المجلة لها موقف، ولابد أن يكون هذا الموقف معلن ومسئول، وأن نلحق رأينا بالرأى الذى يقدمه البحث أو المقال أو المعلومة التى ننشرها، وعلى القاريء أن يتخذ موقفا جديدا من واقع متعدد الأطراف، وليس من معلومة مقدمة له وكأنها التنزيل المنزه..

ولابد أن نعترف أننا ونحن نحاول أن نسهم فى مسيرة الإنسان ونظوره، لابد أن نعترف أننا نحتاج أن يعاد تعليمنا "كيف نقرأ"، أى كيف نتغذى، ونتغذى، وننقذ، ونرفض، ونعيد النظر ونتساءل، ونتحمل الخيرة، ثم نعيد نعيد النظر ثانية، ثم نقبل استمرار العيرة

قد اعتادت المجالات عامة والمجلات المبتدئة خاصة أن تخصص فصلا اسمه "مقتطفات" تعرف به القاريء، وهى إيجاز عن بعض ما نشر من أبحاث ومقالات وكتب فى مجال تخصصها، وهى بذلك تقدم للقاريء، خدمة جليلة لأنها تتيح له الفرصة أن يلم بالجارى هنا وهناك فى إيجاز طيب فتوفر عليه الجهد والوقت

أغلب الدوريات تقف من "المقتطف" موقفا محايدا، وهى بذلك تؤدي خدمة جليلة أيضا لأنها تترك الفرصة للقاريء أن يحدد موقفه بنفسه

لابد أن نعترف أننا ونحن نحاول أن نسهم فى مسيرة الإنسان ونظوره، لابد أن نعترف أننا نحتاج أن يعاد تعليمنا "كيف نقرأ"، أى كيف نتغذى، ونتغذى، وننقذ، ونرفض، ونعيد النظر ونتساءل، ونتحمل الخيرة، ثم نعيد نعيد النظر ثانية، ثم نقبل استمرار العيرة

النظر ثانية، ثم نقبل استمرار الحيرة، وفي كل ذلك نحن نتخذ موقفاً محدداً باستمرار، ومن وظيفة الذين يحملون مسئولية الكتابة والنشر أن يعلموا الناس وهم يتعلمون القراءة الجديدة المسؤولة. فإذا عنواننا الباب أن "تقرأ معاً مرة ثانية" فنحن نعني التعلم والتعليم معاً، وسنبداً هذه المرة بنموذج لهذه المحاولة آمليين أن يسهم القراء والزملاء معنا في المستقبل في تزويدنا بما يستمر به الحوار من ناحية، وبما يفتح آفاقاً جديدة مفيدة ومثيرة.

المقتطف:

“تأثير العلاج الليثيم في مرض الهوس والإكتئاب على الإنتاج الفني”

اعداد: موجنس شو (2)

المجلة البريطانية للطب النفسي المجلد 135 عدد أغسطس 1979.

أجرى هذا البحث على 24 فناناً يتعاطون علاج الليثيم ممن استجابت نوباتهم لهذا العلاج بحيث خفت من حدة النوبة أو منعت الارتجاع إلى درجة كبيرة، وقد سئل أفراد العينة عن إنتاجيتهم الفنية ومدى ما تأثرت به مع هذا العلاج، وقد قرر اثني عشر منهم زيادة في إنتاجهم كما قرر ستة آخرون أنه لم يحدث تغيير يذكر بهذا الشأن وقرر الستة الباقون أن إنتاجيتهم قلت من ذي قبل. ويبدو أن تأثير هذا العلاج على الانتاجية الفنية يعتمد على درجة شدة نوع المرض كما يعتمد على الحساسية الفردية وكذلك على ما تعودده الفنان من كيفية استثمار طاقة نوبة الهوس بوجه خاص. وقد اعتمد الباحث في بحثه على انتقاء الفنانين ذرى الأدوار الإنشائية الأساسية (وليس الفنانين أو التابعين) ممن يعانون من مرض الهوس والإكتئاب والمستمرين على العقار. وكان هؤلاء الفنانين من بلجيكا وكندا وتشيكوسلوفاكيا والدانمارك وانجلترا وإيطاليا والسويد وسويسرا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد اتبع طريقة دراسة الحالة (تقرير اكلينيكي⁽³⁾) (وكان أميناً كريماً حين اعترف بفشله في جدولتها بل لعله رفض ذلك في حقيقة الأمر منعاً للبس الذي قد ينشأ عند القارئ من مظنة أنه يقوم بنتائج "كمية" .. وهذا غير حقيقي ومضلل إلى حد ما، ثم قدم حالات كل حالة في بضعة سطور ليس إلا ليتعرف عليهم القارئ أساساً، وقد جمع معلوماته من مصادر عدة من بينها المقابلات الكلينيكية الخاصة، وقد راسل واحد وقابل أربعة وحصل على المعلومات الباقية من الأطباء المعالجين بعد استئذان المرضى، وبتواضع العلماء بدأ نقاشه بأن هذه العينة صغيرة لدرجة يصعب معها اعتبارها ممثلة تمثيلاً طيباً للظاهرة. وأثناء النقاش أشار إلى "إنه من الصعب، وربما من المستحيل أن نقيس القدرة الإبداعية بواسطة اختبارات سيكومترية موضوعية" وأشار إلى بحث قام به آخرون مستعملين اختبارات لقياس الإدراك الجمالي والطلاقة اللفظة بعد إعطاء الليثيم وعقار خامل لأشخاص عاديين ولم تظهر فروقاً دالة. وانتهى نقاشه إلى اقتراحات متواضعة ونافعة تقول:

1- إن زيادة الإنتاج الفني أثناء علاج الليثيم كلن نتيجة مباشرة للحيلولة دون فترات الهبوط الاكتئابى أو النشاط الهوسي، وكلاهما يعوق الانتاجية الحقيقية، وقد قرر أفراد كثيرين من العينة تحسن نوع الانتاج وكمه معاً.

2- إن بعض الحالات التي لم يتغير إنتاجها من الناحية الكمية قررت أن تتغيراً "نوعياً" حدث حتى وصف أحدهم رسماً تغيرت طريقته أثناء تعاطي الليثيوم حتى سمي هذه الفترة "المرحلة الليثيمية"⁽⁴⁾

3- إن تحليل النتائج في هذا البحث في البحوث القريبة في التراث يشير إلى أن عدداً من الفنانين تهبط إنتاجيتهم الفنية مع الليثيم لأنه يبدو أنهم كانوا قد تعودوا أن يعتمدوا في إنتاجهم على استثمار نوبات هوسهم، فإذا أعطوا الليثيم، وضبطت هذه النوبات فقللت إنتاجيتهم، وبلغ الأمر في بعض الحالات أن نشأ موقف غير محتمل حتى فضلوا المرض مع الإنتاج الفني عن الصحة مع العجز عن ذلك أو إنخفاضه.

4- يبدو كذلك أن فترات الاكتئاب التي تتراءى فيها أشباح الموت وما إليه، تعطى مادة وخبرة تصلح للإبداع، إن لم تكن أثناء فترة الإكتئاب فبعدها مباشرة، وعلى كل حال فلم تثبت أى من الملاحظات

“تأثير العلاج الليثيم في مرض الهوس والإكتئاب على الإنتاج الفني” أجرى هذا البحث على 24 فناناً يتعاطون علاج الليثيم ممن استجابت نوباتهم لهذا العلاج بحيث خفت من حدة النوبة أو منعت الارتجاع إلى درجة كبيرة

أفراد العينة عن إنتاجيتهم الفنية ومدى ما تأثرت به مع هذا العلاج، وقد قرر اثني عشر منهم زيادة في إنتاجهم كما قرر ستة آخرون أنه لم يحدث تغيير يذكر بهذا الشأن وقرر الستة الباقون أن إنتاجيتهم قلت من ذي قبل

تأثير هذا العلاج على الانتاجية الفنية يعتمد على درجة شدة نوع المرض كما يعتمد على الحساسية الفردية وكذلك على ما تعودده الفنان من كيفية استثمار طاقة نوبة الهوس بوجه خاص

إنه من الصعب، وربما من المستحيل أن نقيس القدرة الإبداعية بواسطة اختبارات سيكومترية موضوعية“

إن زيادة الانتاج الفني أثناء علاج الليثيم كلن نتيجة مباشرة للحيلولة دون فترات الهبوط الاكتئابى أو النشاط الهوسي، وكلاهما يعوق الانتاجية الحقيقية

إن بعض الحالات التي لم يتغير إنتاجها من الناحية الكمية قررت أن تتغيراً "نوعياً"

المتاحة حسب هذا الفرض بصفة خاصة.

5- إنه يمكن الافتراض أن الإبداع في مجالات أخرى - غير الفن - قد يخضع لنفس الاحتمالات.

الموقف:

والآن ... كيف نقرأ هذا البحث؟

كيف يفيد منه الشخص العادي؟ وكيف يفيد منه الممارس الإكلينيكي في العلاج، وكيف يفيد منه الباحث في نفس المجال؟

إن لنا - هذه المجلة - موقفا تجاه كل كلمة وكل معلومة وردت به كما أن لنا تعليقا لكل من طريقتنا ونتائج جميعا.

وبالذات لهذا الموقف وذكرنا هذا التعليق نسهم بدورنا في أن يتخذ القارئ ما يشاء من مواقف، بناء على ما أثاره هذا الحوار ..

أولا: لعلنا ننتبه كثيرا - أن نخجل إلى الحد الذي ينبغي - حين نستعمل كلمة الفن بلا ضابط ولا رابط، ففتشاً ناشئنا وفي تصورنا أن الفنانين هم الآلاتية والممثلات، ولا نوصل إليهم معلومة بسيطة ومركزة لأن ماهية الفن كموقف إبداعي في الحياة، وهذا هو أول ما يوحىه قراءة العنوان، والأمر الثاني ألا نجعل كلمة الفن دائما مرادفة للإبداع، وقد شره الباحث كيف إنه اختار نونا محددنا من الإبداع هو "الفن" دون بقية أنواع الإبداع في المجال العلمي وغيره، وقد ذهب سيلفانو أريتي في كتابه "الإبداع" (5) إلى توسيع مفهوم الإبداع حتى الإبداع الديني.

ثانيا: إن تقييم إبداع ما يحتاج إلى أبعاد جديدة غير الأبعاد المألوفة من أن الأبحاث اختقت أو أن المرض زال، والباحث هنا يبحث بعدا جديدا ولكن عند فئة بذاتها وهي الفنانين، فهل يا ترى نعتبر ونحن نقيم مفعول إبداع أو علاج ما حتى مع غير الفنانين لنعرف أن هذا العلاج أو ذلك قد أطفأ الموقف الإبداعي للحياة أم أثار؟ وهل يا ترى تفتح الآفاق لأن نعرف أن الانسان السوي ليس هو الذي بلا أمراض، وإنما هو الانسان القادر على التجدد والتغير والاسهام مع المجموع؟ وهل تستحق هذه الصفات أن توضع في الاعتبار ونحن نقوم بعلاج ما؟ أو ونحن نعطي علاجا ما.

ثالثا: إن المتحمسين من مناهضى الطب النفسى يدلون - خوفا أو إجتهادا - أن مثل هذه العقاقير - بصفة عامة - هي مثبثة لإبداع الانسان ومشوهة لبشريته، فهل يا ترى يراجعون موقفهم حين يعلمون أن البحث العلمي - بلا تعصب مسبق ولا مقاييس مشكوك في أمرها - يمكن أن يخفف من غلوائهم حتى تصبح الكيمياء كما ظهر من هذا البحث مسخرة لخدمة التطور كما ذكر يحيى الرخاوى (6) وبالتالي تصبح القضية ليست في "هل نعطي العقار أم لا" ولكن تصبح كيف نعطيه، ولمن نعطيه، ومن يعطيه، وكيف نقيس مفعوله، وكيف نضيق في الاعتبار إبداعية الانسان وإنتاجيته الخلافة أثناء ذلك؟

رابعا: إن أبحاث الإبداع لها نصيب الأسد في أبحاث الزملاء للماء النفس الأفاضل في مصرنا العزيزة، وهي تزدهر في مركزين للمين أساسين هما كلية آداب القاهرة وتربية إين شمس (وغيرهما مثل تربية المنصورة ... الخ) فهل يا ترى أن الأوان لتقويم هذه الأبحاث من جديد، حتى يمكن أن نوصي من واقع نتائجها بشيء يحافظ على ثروتنا البشرية الإبداعية في مرحلتنا الخطيرة التي تمر بها؟ إن هذا البحث الذى خاطب المبدع مباشرة في تقويم إنتاجيته خليك بأن يذكرنا بأن "دراسة الظاهرة" قد تستغرقنا على حساب الظاهرة ذاتها.

وكأن السؤال يقول: هل شعبنا أصبح أكثر إبداعا، أو يمكن أن يصبح أكثر إبداعا تناسبا مع الإفراط في أبحاث الإبداع الجارية؟ وذلك بالمقارنة بفترة سابقة لم نكن نعرف فيها أبحاث الإبداع أصلا وإنما كنا نعرف فيها الإبداع شخصيا؟

وأين الخطأ في ذلك؟

أهى الهوة بين البحث والتطبيق، أم يمكن أن يكون البحث في الإبداع قد أغنانا لأن البحث لأن

قد حدث " حتى وصفه أحدهم رسما تغييرت طريقتنا أثناء تعاطى الليثيوم حتى سمى هذه الفترة "المرحلة الليثيمية" ()

أن محددنا من الفنانين تصبوا إنتاجيتهم الفنية مع الليثيم لأنه يبدو أنهم كانوا قد تعودوا أن يعتمدوا على إنتاجهم على استثمار نوبات هوسهم، فإذا أعطوا الليثيم، وضبطت هذه النوبات فقللت إنتاجيتهم

إن تقييم إبداع ما يحتاج إلى أبعاد جديدة غير الأبعاد المألوفة من أن الأمراض اختفت أو أن المرض زال، والباحث هنا يبحث بعدا جديدا ولكن عند فئة بذاتها وهي الفنانين

هل يا ترى نعتبر ونحن نقيم مفعول إبداع أو علاج ما حتى مع غير الفنانين لنعرف أن هذا العلاج أو ذلك قد أطفأ الموقف الإبداعي للحياة أم أثار؟

هل يا ترى تفتح الآفاق لأن نعرف أن الانسان السوي ليس هو الذى بلا أمراض، وإنما هو الانسان القادر على التجدد والتغير والاسهام مع المجموع؟

هل تستحق هذه الصفات أن توضع في الاعتبار ونحن نقوم بعلاج ما؟ أو ونحن نعطي علاجا ما.

المتحمسين من مناهضى الطب النفسى يدعون - خوفا أو إجتهادا - أن مثل

الإبداع، وتنميته وتوفير ما يمكن أن يثيره؟

إن قضية الإبداع مرتبطة أشد الارتباط بقضية الحرية الحقيقية، الداخلية والخارجية، ونحن بعد أن استقطبنا الفكر الديني السلفي من ناحية، والفكر اليساري الجامد المتشنج من ناحية أخرى، أصبح الإبداع مخاطرة قد لا يحلها البحث فيه، ولكن المحافظة عليه وفهم مصادره وفتح مجالاته وإطلاق طاقاته. إن من أكثر الأمور أسفاً أن يشعر قارئ أبحاث الإبداع أحياناً أنها – ذاتها – أبعد ما تكون عن الإبداع. إن هذا البحث يثير قضية عصرية متكاملة، إذ يعتبر الموقف العلاجي للطب النفسي مجرد جانب واحد صغير جداً من هذه القضية.. تلك القضية التي يحذر منها كل محبي الإنسان المؤمنين بحتم تطوره ألا وهي: إلى أي مدى يمكن أن يسهم نتاج عقل الإنسان في تعويقه أو دماره؟ وفي مجال الطب النفسي تصبح مثل هذه البحوث غير المتعصبة أو المتشججة هي إحدى مصادر المعلومات الهادية على طريق الصراع المحتدم بين العقل في قفزات النمو وبين تأثير نتاجه على دفع أصالته.

خامساً: إن هذا الباحث الدانماركي إذ يأخذ عينته الصغيرة (24 حالة) من عشرة بلاد متباعدة ليدرس نفس الظاهرة يذكرنا بعصرنا الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة نأمل أن يتواصل العطاء بين سكانها حفاظاً على انلوع ودفعاً للحضارة .

وبعد

فلنقرأ معا مرة ثانية ...

ولنفكر بهدوء .. ولكن في يقظة

ولنتقق أو نختلف ...

فهذه هي روعة الحوار .

– [1] عدد يناير – مارس 1980 مجلة الإنسان والتطور

– [2] الاستاذ ”موجنس شو“ يعمل استاذاً للطب النفسي البيولوجي في وحدة أبحاث الفارما كولوجيا

النفسية في معهد آرهاس الجامعي، المستشفى الطبني في رسكوف بالدانمارك.

Artistic Productivity and Lithium Prophylaxis in Manic Depressive Illness by
MOGENS SCHOU.

[3] – Case report

[4] – Lithium Period

[5] – Silvano Arieti: Tertiary processes (1976), Creativity: The Magic

New York ,Synthesis. Basic Books

– [6] يحيى الرخاوي: كتاب ”عندما يتعري الإنسان“ الطبعة الرابعة 2017 (الطبعة الأولى 1969)

والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10،

وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم.

هذه العقاقير – بصفة عامة – هي مثبطة للإبداع الإنسان ومشوهة لبشريته

بالتالي تصبح القضية ليست هي ”هل نعطي العقار أم لا“ ولكن تصبح كيف نعطي، ولمن نعطي، ومن يعطي، وكيف نقيس مفعوله، وكيف نضج في الاعتبار إبداعية الإنسان وإنتاجيته الخلافة أثناء ذلك“؟

إن هذا البحث الذي خاطب المبدع مباشرة في تقويم إنتاجيته خليق بأن يذكرنا بأن ”دراسة الظاهرة“ قد تستغرقنا على حساب الظاهرة ذاتها.

إن قضية الإبداع مرتبطة أشد الارتباط بقضية الحرية الحقيقية، الداخلية والخارجية

نحن بعد أن استقطبنا الفكر الديني السلفي من ناحية، والفكر اليساري الجامد المتشنج من ناحية أخرى، أصبح الإبداع مخاطرة قد لا يحلها البحث فيه

القضية التي يحذر منها كل محبي الإنسان المؤمنين بحتم تطوره ألا وهي: إلى أي مدى يمكن أن يسهم نتاج عقل الإنسان في تعويقه أو دماره؟

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD270119.pdf



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً ... نذهب أبعد